



كراسي الاعتراف والاعتذار فارغة

ثقافة الاعتذار ليست على ما يرام في المجتمعات العربية

إلغاء العنف والإقصاء والتناحر يبدأ بقول «أنا آسف»



لا اعتذارات في الثقافة العربية الإسلامية

وأوضحت الكاتبة أن للصورة العامة للزعيم دورا حاسما في فرض الشعور بتفوقه المفترض. لذلك في الأنظمة الدكتاتورية العربية، تنتشر صور أكبر من الحجم الحقيقي للزعيم.

غياب ثقافة الاعتذار في المجتمعات الشرقية نتاج طبيعي لغياب ثقافة الحوار وثقافة الاعتراف بوجود الآخر

وربما يكون الاعتذار بين الدول شبيها بالاعتذار بين الأشخاص. فدونه تبقى مسارة التاريخ وخسائر أفعاله المؤسسة جزءا من الحاضر وعقبة في طريق الصلح والتعاون.

وفي جميع الأحوال، لا شك أن الاعتذارات ذات قيمة معنوية عالية ترد الكرامة وتعبر عن الاحترام للحرز والماسي التي مرت بها الشعوب والجماعات.

بالنسبة للشعوب العربية بالتحديد، خاصة مع التغيرات التي تشهدها وضرورة إعادة النظر في هويتها الوطنية، هل تكون هناك حاجة لمثل هذه الاعتذارات أن تقدم، وأن يُطالب بها؟ وهل يكون لنظرة تسامح للماضي دور في حياة الشعوب العربية وتعاملها مع تاريخها القريب، وربما زخم لبناء هوية وطنية مستقبلية تحترم العدالة وتتجاوز حدود الماضي؟

وتقول الكاتبة التونسية أمال قرامي "ميزت الشعوب بين الاعتذار الصادق الذي ينم عن إدراك ووعي وقدرة على الاعتراف بارتكاب الأخطاء، وإلحاق الضرر مهما كان نوعه، ماديا، اجتماعيا، واقتصاديا، ونفسيا... بالأخر يقطع النظر عن جنسه وسنه وعرقه ودينه، والاعتذار المزيف الذي لا غاية له سوى البحث عن طريق للخروج من المازق. وضمنت بعض البلدان في قوانينها صيغا من أشكال الاعتذار منها الشفوي ومنها المدون".

وتضيف "لئن اطنب العلماء في الثقافة العربية الإسلامية في الحديث عن الآداب، آداب المؤاكلة والشرب، والمجالسة، وآداب النوم، وآداب الجماع، وآداب دخول الخلاء، وآداب اللباس... فإنهم والعهد على المؤرخين، لم يولوا، في الغالب، الاعتذار أهمية بالغة. ولعل للامر علاقة وطيدة بالنظام التراتبي، وتوزيع السلطة، وبنية العلاقات الاجتماعية والسياسية، فالمكبر لا يعتذر للصغير، والمسلم لا يعتذر للذمي، والسلطان لا يعتذر للرعاع، والحر لا يعتذر للعبد، والأبيض لا يعتذر للأسود".

ويؤكد الخبراء أنه يجب على المجتمعات أن تبني ثقافة الاعتذار التي ستمهد الطريق لثقافة أعم وأشمل إلا وهي ثقافة التسامح والتعايش وقبول الآخر والتي ستلغي ثقافة العنف والإقصاء والتناحر، والبدائية تكون من البيت أولا والمدرسة وأخيرا المجتمع ليغير بعدها الحكام على الاعتذار حين يخطئون.

بناء ثقافة

إن اعتذار الحكام والمسؤولين والساسة متعارف عليه في الديمقراطيات الغربية. وارجع الباحث السياسي محمد محمود السيد لأسباب عديدة منها أن الاعتذار قد يكون غطاء لبعض الأفعال غير القانونية، أو نوعا من المواربة السياسية، أو لمخاطبة الرأي العام، أو الإيقاع بالمعارضة أو الخصوم السياسيين، أو حتى لرغبة الحاكم أو الحزب في تلميع صورته أمام الجماهير. وقد يتم الاعتذار أيضا عن القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع. ولا تعرف الدول العربية اعتذار الحكام، سواء لأهداف سياسية أو باعتبارها مستمدا من قيم المجتمع. وقال السيد إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم

هو أمر بدأت دراسته حديثا، يتعلق الأمر بالوقت، فإذا تمكن الناس من فهم ما يجعل الاعتذار لائقا قدموا الكثير منه، فالاعتذار يجلب التعافي والغفران وقوة العلاقات.

ووجدت دراسة أجريت في 2012 أن الأشخاص الذين يفشلون في الاعتذار لديهم ارتفاع في حب الذات وزيادة في الشعور بالتحكم في الآخرين والسيطرة عليهم، مقارنة بأولئك الذين يجيدون الاعتذار، والسبب في ذلك أنهم يرون أن الاعتذار يمنح الضحية الفرصة لتضخيم الخطأ ويقوض من "سلامة القيمة" وهي ثقة المرء في نفسه كشخص جيد وثقته في سلامة معتقداته.

وما يجعل انتشار ثقافة الاعتذار صعبا فيجد الأب صعوبة كبيرة في الاعتذار لابنائه، أو زوج لزوجته، أو أخ لأخيه، أو جار لجاره، أو مدرس لطلابه أو مدير لموظفيه.

وتعد التركيبة البنيوية للمجتمعات العربية متأثرة كثيرا إن لم تكن مبنية على الثقافة البدوية التي تفهم الاعتذار كصيغة تعبيرية عن الضعف والخنوع وهو أمر مرفوض في الأعراف الذكورية التي تقدر ثقافة القوة والتباهي والتفاخر. وهذه الصورة لا تزال منتشرة ولو بنسب متفاوتة في المجتمعات العربية.

وغياب ثقافة الاعتذار في المجتمعات الشرقية نتاج طبيعي لغياب ثقافة الحوار وثقافة الاعتراف بوجود الآخر وكونه نتاجا. لذلك تعتبر ثقافة الإقصاء والتهميش هي الثقافة الغالبة في المجتمعات التي تنكر أهمية الاعتذار. ويؤكد خبراء علم الاجتماع أن تعزيز ثقافة الاعتذار في المجتمعات العربية مطلب ملح يجب أن يكون جزءا أساسيا من المكونات الفكرية، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي، لأن الخطأ سلوك بشري مستمر ويلزم إصلاحه لتحقيق مجتمع مثالي.

ويؤكد هؤلاء الخبراء أن الحقيقة الواضحة هي أن الاعتذار دليل الشجاعة على مراجعة النفس وتصحيح الخطأ من خلال المحبة والثقة بالنفس. الاعتذار ليس لغة الضعفاء، بل هو لغة الشخصية القوية والإنسان الراقى الذي يحترم نفسه، كما أنه سلوك أخلاقي نبيل تتسم به حياة الأسوياء، يعكس بوضوح رزانة عقل، وأمانة ضمير، ونزاهة شخصية في تعاملاتها مع الآخر مهما كان وأينما كان. فثقافة الاعتذار مرتبطة بالنبل، والمروءة، واحترام الذات، واحترام الآخر وكونيته وخصوصيته.

رغم أن أغلب الشعوب أدرجت أدب الاعتذار في مناهجها التربوية، وعلمت الناشئة كيف تعتذر وتمن ولماذا، كما ربطت الاعتذار بفلسفة تهذيب السلوك ومنظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية، فإن ثقافة الاعتذار تغيب في المجتمعات العربية بسبب موروث اجتماعي خاطئ.

لندن - لا تبدو ثقافة الاعتذار أصيلة في تقاليد المجتمعات العربية ولا العادات الشرقية، بل إن العرب يرون فيها نوعا من الضعف والمساس بالكرامة حتى قال بعض الحكماء "أربأ بنفسك عن مواطن الاعتذار".

شفاء تام

"كنت بحاجة فقط لاعتذار يعيد لي كرامتي أن اسمعه يقول 'أنا آسف'، لكنه ظل يماطل ويلقي اللوم علي مرة وعلى كل المؤثرات الخارجية مرة أخرى حتى خلته سيقول إن ثقب طبقة الأمازون هو السبب في خطئه"، تقول هاجر (35 عاما) الموظفة في بنك.

وأضافت "عرفت أنه لن يقول اعتذر بسهولة فلم يحدث أن قالها، وانفصلنا، لقد فضل كلمة على حياتنا". وتابعت "كان الاعتذار ليؤكد أنه يحترمني ويهتم بمشاعري، وأنه لم يكن ينوي إيدائي، وأنه يعتزم معاملتي بشكل أفضل في المستقبل. وكنت سأقبل اعتذاره، ونمنح أنفسنا فرصة أخرى".

وتؤكد خبيرة علاقات اجتماعية "لقد كنت من حين آخر شاهدة على الشفاء الذي يمكن أن يحدث عندما يتلقى شخص ما اعتذارا ذا مغزى، فقد سبب هذا النوع من الاعتذار شفاء تاما لأشخاص كانوا بحاجة إليه حقا".

وعلى الرغم من أن السمة البارزة عند المجتمعات الشرقية هي العلاقات الاجتماعية المترابطة، إلا أنها تفقد مهارة الاعتذار فالمهمة جدد للحفاظ على الترابط الاجتماعي.

ويعد السبب في افتقاد هذه الثقافة الإنسانية إلى الكبرياء، واعتبار أن الاعتذار دليل ضعف الشخصية، أو فشلها، وأن عزة النفس والكرامة عند الشرقيين تحولان دون الوصول إلى الاعتذار والتدرب على اكتساب هذه المهارة.

وتقوم ثقافة الاعتذار في المجتمع على عدد من المعايير الثقافية المستقلة، أهمها احترام الآخر.

كما تستمد ثقافة الاعتذار أهميتها مما يسمى "التراتبية الاجتماعية"، إذ أن المجتمع العربي مبني في ثقافته على "التراتبية"، حيث النظرة الفوقية من قبل البعض للبعض الآخر، وهو



الشعوب العربية مطالبة بالتأسيس لثقافة الاعتذار التي تبدأ من البيت والمدرسة أولا لتعم المجتمعات أخيرا

التحكم في الآخرين

تقول عالمة النفس كارينا شومان الأستاذ المساعد بجامعة بيتسبرغ "لم يكن هناك الكثير من الأبحاث بشأن المذنب، لم يكن هناك تجاهل تام، لكن البحث في أسباب اعتذار شخص ما من عدمه